مجلة العلوم الإنسانية —— عدد 27- جوان 2007، ص. ص. 117- 126

المفارقة الحضرية

ملخص

أفرزت دراسة الأزمة الحضرية وما يرتبط بها من مشاكل مقاربات مختلفة من الأكاديميين خاصة عندما يتناولون النظام الاجتماعي والزواج والفئات العمالية في المجال الحضري.حيث نلخص إلي أن الإحصاءات غير كافية للوصول إلي نموذج دولي مرغوب فيه. لأن الجانب الوظيفي للعمارة والتخطيط اجتماعي بالدرجة الأولى والهدف من استخدام العلم ولفن لتلبية احتياج اجتماعي إنساني.

د. دليمي عبد الحميد
قسم علم الاجتماع والديمغرافية
جامعة قسنطينة، الجزائر

الأزمة الحضرية:

تعد "الأزمة الحضرية" وما يرتبط بها من "مشكلات الإسكان"،" إخفاق التخطيط وفساده" و"فخ الفقر" مفردات مشتركة في الأحاديث الجارية.فحتى "سكن الضواحي" الذي كان يعد حلا لعلل الكثافة في الحياة الحضرية، بات مفردة تستعمل اليوم باستهجان أكثر منها بتقدير. إن المدن باختصار، تظهر وكأنها في ورطة. فلماذا لا نحاول فهما المدن ومراقبتها والتحكم فيها لتلافي أزماتها، أو تحجيمها لتضييق نطاقها وتقليل الفروق الاجتماعية بين سكانها؟

إن تعقد المدينة هو إحدى الإجابات الحاصلة على هذا، وأن الحلول المقترحة لمشكلة ما تكون لها أبعادا واسعة، وقد تكون لها أحيانا آثار غير متوقعة ولا مرغوبة في جهات أخرى.

بالرغم من أن المساهمة التي قدمها الأكاديميون لفهم المدينة (وخاصة منهم الأكاديميون الجغرافيون) كانت لها بعض الأهمية، لكنها لم تؤد إلى أي تحسن يذكر فيما يتعلق بتخطيط المدن وسياستها. والسبب في هذا يرجع

Résumé

Cet article est une réflexion sur le rôle de la sociologie de la ville dans les études supérieures de la planification et de l'administration et tente de comprendre la relation de la géographie humaine dans les décisions qui concernent l'environnement social et physique. Plusieurs études ont été écrites sur la géographie sociale de la ville (domaine de la sociologie). Ce qui nous invite à résumer les études de cette nouvelle approche de l'objet sociologique.

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر2007.

إلى التحجر الغريب في النظرية الموجهة للدراسات الحضرية: فالمدن ذاتها، راحت تتغير كاستجابة للتحولات الحاصلة في مجال التكنولوجيات والإنتاج والتوزيع وكذا البيئة الاجتماعية للسكان، و في الموازاة مع ذلك، فإن النظرية الحضرية لم تتغير كثيرا، وأن المدينة الاستعمارية لازالت تطبع بقوة الجغرافيا الحضرية لمدننا. إذ لازال ذلك النموذج المثالي يطبع نظرتنا إلى المدينة كمدينة قسنطينة ابتداء من اسمها ذي الأصل الروماني إلى تخطيطها العشوائي، مرورا بجسورها المعلقة التي تذكرنا بماضينا، وأسماء الأحياء والشوارع التي لازالت تلوكها الألسنة.

وهنا يتوجب علينا أن نسوق ملاحظتين هامتين:

الملاحظة الأولى: يجب أن نتذكر بأن المدن في البلاد الإسلامية تشكل عالما آخر له مفارقاته وخصائصه التي تميزه تميزا بائنا عن عالم الريف. ورغم تقارب المسافة الجغرافية أحيانا بينهما، فإن مجتمع المدينة بما يزخر به من مشاكل معقدة ومتناقضات يكاد يشكل مجتمعا مميزا قائما بذاته، ولا يكاد يقرب الفجوة الصارخة بينه وبين مجتمع الريف إلى ذلك المستوى الديمغرافي والجغرافي لذلك الصنف من "الضاحية" "البلدة الانتقالية" التي هي في طور التحول من حالة القرية إلى وضع المدينة، التي لازالت تجمع بين بعض من العناصر الريفية المنقرضة وبعض الصفات الحضرية النامية.

وضمن هذا المنظور تؤكد المعطيات الواقعية أن "الحراك السكاني"، أو ما يسمى بالهجرة (وهو انتقال الناس من مكان إلى آخر بدوافع متشابهة أو مختلفة)، ونعني بـ "الحراك السكاني" هنا الهجرة من الريف إلى المدينة التي تترك وراءها آثارا سلبية في الريف، حيث يفقد الريف بسببها الزاد الاجتماعي الضروري لحيويته لحساب المدينة التي تتلقى هذا الزاد ولا تستطيع أحيانا استيعابه مما يفرز فيها تلك المفارقات التي سبقت الإشارة إليها.

وبينما الوضع على هذا الحال من الاختلاف والبعد بين المدينة والريف في البلاد العربية خاصة والعالم الفقير عامة، فإنه بات من الصعب في العالم المصنّع وضع معالم واضحة بارزة ورسم حدود واضحة بين المدينة وبقية المجتمع أين بات ذلك "الحراك السكاني" يجري في الاتجاهين المتعاكسين يضاف إليه ذلك التقارب في المستوى المعيشي، وتشابه شروط الحياة المتوافرة في كل من الريف والمدينة مع توفر المواصلات والاتصال والإعلام.

إن المقولة المتداولة بأن " العالم قرية صغيرة" والدالة على التقارب الحاصل بين الأمكنة تجد تمثيلها أكثر وضوحا في التقارب الحاصل بين المدينة والريف في البلدان المصنعة.

الملاحظة الثانية: وهي أنه بالنظر إلى أي من النماذج أو النظريات الحضرية لابد أن نضع في الأذهان تلك التأثيرات الخاصة للمميزات الثقافية بين مختلف المجتمعات، إن الكتابات المبكرة لمفكري شيكاغو توسمت بالأسلوب الأكليركي المشوب بالذعر مما جعل أنماطها مختلفة في مدينة شيكاغو نفسها، والتي تواجدت بعد ذلك في كل من أمريكا اللاتينية وأوروبا.

يشكل اليوم ضعف البصيرة الثقافية خطرا خاصا في حالة اقتراح نموذج عالمي

ثلاثي العوامل لبنية الإقامة الحضرية (بري Berry). ففي هذا الإطار بينت الدراسات في بلدان غير الولايات المتحدة أهمية الاختلافات الثقافية (أبولغود ، لانداي Landay) وأحيت ذاك الجدل الأزلي حول التأثير الثقافي على العمليات " الطبيعية" الذي يطبع شكل المدن. وقد أجرى بري مسحا مؤثرا حول التحضر في العالم وأكد من خلاله على اختلاف تأثيرات الدرجات المتغيرة للتوجيه الممركز في اقتصاديات أمريكا الشمالية، وأوروبا والبلاد النامية. ومما يؤكد هذا الرأي تلك الدراسة التي قام بها مازيل (Musil) عن مدينة براغ، والتي أظهرت أنه بعد قيام النظام الشيوعي الممركز تقلصت اختلافات الإقامة في المدينة بشكل محسوس، بسبب التأجير المدعم للسكنات التي باتت تكرى حسب الحاجة لا حسب القدرة على الدفع، كما أن التماشي بين حجم المسكن ودخل الساكن انخفض وحل محله ترابط بين حجم العائلة والسن من جهة وحجم المسكن والسعر من جهة أخرى. ويبقى أنه حتى في النظام الشيوعي مثلا، مازال إرث الماضي يرمي بثقله على قرارات الحاضر، ففي المدن اليوغسلافية مثلا، ورغم تأميم الأراضي وقيمتها التفاضلية التي أُلغيت ظاهريا إلا أن الكثافة العالية للإسكان في المناطق المركزية – يعني أن تكاليف التهديم وإعادة البناء تكون أرفع منها في الضواحي نظرا لأنه يقتضي إعادة إسكان المزيد من السكان (فينيك Winnick). ويبقى أن التشريعات بجانب الخاصيات الثقافية الأخرى لمجتمع ما تلعب دورا هاما في تحديد شكل المدن وطبيعة المناطق الاجتماعية داخلها.

مادام أصل النظرية الحضرية أمريكيا، فإنه من الأهمية بمكان الإشارة باختصار إلى بعض الاختلافات الأولية بين أمريكا وبريطانيا للمقارنة بين نموذجين حضريين كمثال في هذا المقال، حيث أن هذه الاختلافات يمكن أن تؤثر في طبيعة المدن في البلدين:

أولا: أن حجم وأهمية الأقليات في كل من البلدين مختلف جدا.

ثانيا: أن المدن البريطانية أقدم، وأن الإرث المادي لأسلوب الحياة السابقة والبنيات الاجتماعية والاقتصادية التي يجسدها الميراث الفيزيقي لتلك المدن هي أكثر تعبيرا.

ثالثا: أن التنظيم السياسي للسلطات المحلية يختلف، إذ السلطات الضاحيوية شبه المستقلة التي تطوق أغلب المدن الأمريكية الكبيرة التي أثارت قضايا تقديم الخدمات في مراكز المدن التي تآكلت قواعد جبايتها بقدر أكبر مما هو في بريطانيا، أين تجمع أموال أقل محليا خاصة بعد إعادة تنظيم الحكومة المحلية سنة 1974.

رابعا: أن الاختلافات في درجة المراقبة المركزية في البلدين كان له أثر بطرق عدة والأكثر من بينها تحديا هو منح السكنات المدعمة من قبل الدولة، والتي لم يشرع فيه في أمريكا إلا سنة 1937 والذي يوفر في الوقت الراهن حوالي 3% من مجموع عملية الإسكان (فورست Fuerst). بينما شُرع فيه في بريطانيا سنة 1919 حيث يوفر الآن 31% من السكنات. إن تنمية آلة التخطيط في بريطانيا ما بعد الحرب، بالإضافة إلى صغر مساحة بريطانيا والنقص المسجل في المساحات المخصصة للبناء، كلها عوامل أدت إلى العمل على احتواء بقدرة أكثر صرامة للتوسع العمراني العفوي وإدامة الكثافة

السكانية العالية التي يتصف بها نموذج نمو المدن الأمريكية. فإعادة بناء المدن المركزية التي هدمتها الحرب وإعادة تشييد مراكز مدن أخرى حديثا وتدعيم فلسفة التخطيط للمرافق الحضرية تطلب استثمارات لمبالغ ضخمة في المناطق المركزية للمدن البريطانية، وقد ساعد هذا على تأجيل تآكل الهيمنة التجارية للأقطاب الحضرية البريطانية، فكان على عكس أمريكا مثبطا فعليا لنمو المراكز التجارية خارج المدن.

ومرة أخرى فإن هذه الاختلافات يجب أن ينظر إليها حسب تناسبها في الحالتين (كلاوسون وهول Clawson & Holl) لكن الاختلافات الثقافية تعد مهمة وبائنة اكثر من مجرد أمر هامشي عابر.

العيش في المدن:

إن أغلب اهتمامنا بالمناطق الاجتماعية للمدن ينحدر من واقع بديهي، وهو أن الصفات الاجتماعية موزعة بتفاوت عبر المجال، ثم لماذا الجغرافي (Geographer) يهتم بهذا، وما هي المحصلات التي يستقيها من ذلك؟

أولا : إن واقع التشابه الاجتماعي بين السكان في قسم معين من المدن يكشف قضية كيف "تعمل" المدن وكيف يحدث العرض والطلب عبر المجال في سوق الإسكان الحضري، وهو ما يؤدي إلى انعكاسات سياسية. إن معرفة الجغرافيا الاجتماعية للمدينة يساعد على تخطيط متطلباتها الآنية والمستقبلية، وكذا توفير الخدمات وإبراز المناطق الأكثر احتياجا للمساعدة الإسكانية، واستبيان المناطق القابلة لإحداث اضطرا بات اجتماعية.

ثانيا : يمكن للجغرافي أن يجادل تلميحا أو تصريحا أن التجانس في المناطق الاجتماعية له معنى اجتماعي في أكثر من حال، إذ أن منطقة العمال اليدويين في المدينة تشكل بيئة فيزيقية واجتماعية مختلفة جدا عن تلك التي يشكلها العمال المهرة، ولأن كليهما عاشا عنصرين متماثلين في إحدى البيئتين فإنهما يكونان مختلفين (ويلموط و يونج Willmott & Young) وإذا كان عامل ساكنا بين أمثاله الذين لهم نفس المرجعية العمالية، فإن طموحاتهم واعتقاداتهم وتقاليدهم وسلوكياتهم يرجّح أن تزداد قوة ودعامة. وخلافا لذلك، إذا كان عامل ساكنا بمكان يحتك فيه بأنماط حياة غير عمالية فإن ذلك يشجعه على تغيير جماعته المرجعية، وهو عندها، إما أن تتكون لديه طموحات غير عمالية أو يتشكل لديه وعي يميزه عن الطبقة العمالية.

قد ينعكس على المرء المكان الذي يقيم به ويؤثر في صفاته الاجتماعية، فالإقامة تعكس الصفات الاجتماعية بحيث أنه وبالنظر للكوابح كالدخل مثلا، فإن المقيم يختار سكنا ومنطقة تناسب صورته ومركزه ومقامه الاجتماعي. والدراسات التي حاولت إثبات مثل هذه العلاقة غالبا ما تناولت حالات استثنائية أو متطرفة.

وتبقى دراسة فيستنجر (Festinger) الكلاسيكية عن تأثير بعد المسافة على أنماط الصداقة مثالا على هذا، كون دراسته تدخل في سياق مصطنع يتعلق بمركب سكني طلابي. وفي سنة 1953 أجرى كوبر (Kuper) دراسة حول حالة موازنة في

قوقانطري ببريطانيا. ونظرا لأن هذين الدراستين أجريتا على مجموعتين حديثتي العهد، فإن العلاقات الاجتماعية تكون أقوى بين الجماعات المتقادمة الجوار، خاصة إذا كانت تشترك في نفس المشاكل الاجتماعية ولها نفس الطموحات.

ورغم ذلك فإنه مع مرور الوقت يلعب بعد المسافة دورا إضافيا، فيختار الناس أصدقاءهم على أساس المصالح المشتركة بدل القرابة الجوارية، حيث أن جمعيات أرباب البيوت التي تأسست في السنوات الأولى في مقاطعة ما عادة ما تتفكك وتضمحل بسرعة (دوران Duran ، موريس Morris و موقاي Mogey).

ونفس الحجة حول بعد المسافة تتضمنها دراسات اختيارات الزواج التي تُظهر بأن هناك فشل سريع في الزواج كلما كان بعد المسافة أكبر بين الطرفين. إن المدن تعيش عزلة اجتماعية مما يجعل عدد ارتباطات القران الممكنة أقل بين الأطراف الأبعد مسافة. لكن حتى وان جعلنا مظهري المسافة والاجتماع ثابتين، تبين أنهما يلعبان دورا مهما ومستقلا (رامسي Ramsey). فدور الموقع الجغرافي في عكس الصفات الاجتماعية أو التأثير عليها يكون أحيانا مضمرا أكثر مما يكون بارزا في الدراسات الجغرافية. وكثير من علماء الاجتماع غير مقتنعين بالادعاء بان الأنماط الجغرافية ليست لها أي معنى اجتماعي. ويعتقد دينيس (Dennis) مثلا أنه يظهر من الصعب جدا للناس أن العيش في نفس المكان يترتب عنه تجمع بشري بلا أهمية سوسيولوجية كبيرة. لكن الصعوبة تزداد عندما تكون مجموعة من الناس في مكان ما متجانسة اجتماعيا، ويبقى واضحا أن تكوين جماعة يحتاج إلى أكثر من مجرد تجمع مهما كان تجانس هذا التجمع.

إن عدم الرضا عن تناول المناطق الاجتماعية تناولا ايكولوجيا محضا أدى إلى وضع مفاهيم ذات البعد الاجتماعي"للمجموعة" (هيلري Hillery) فهناك مثلا أكثر من 94 تعريفا لها، لكنه يمكننا التركيز على مظهرين في تحديد مفهوم " المجموعة" وهما:

وجود الاتصال الاجتماعي بين أعضائها،والإحساس الجماعي بالهدف الاجتماعي المشترك بينهم.

كما يمكن أن نتعرف على نموذجين عامين من المجموعات التي رغم تداخلها في كثير من السياقات فإنها ما تتميز بما يلي:

"النظم الاجتماعية القائمة محليا" و "النظم الاجتماعية المشتركة مصلحيا":

1- النظم الاجتماعية القائمة محليا: وفي مثل هذه النظم تلعب المنطقة التي يسكنها الناس دورا هاما في الإحساس بروح المجموعة، حيث تكون الاتصالات غالبا بين الناس الذين يسكنون داخل المنطقة، أين يحتضنون مجموع النشاطات الاجتماعية للفرد. والجار والقريب تجداهما يعملان معا كنسيج واحد، حيث يساعد الأمهات في وضع مواليد بناتهم ، كما يهب الجيران للمساعدة عند الاستعجال وتتم الاتصالات والاحتكاكات عفويا في الشارع، وقد شكل هذا الموضوع مادة دسمة للدراسات السوسيولوجية خلال الخمسينيات من القرن العشرين.

إن مثل هذه المجموعات البشرية التي يشكلها العمال البسطاء تعكس فكرة أن الحراك الجغرافي للعامل اليدوي ضعيف وأن أفقه المحدود تعيقه عقبات بعد المسافة

(فريد وقليتشر Fried & Gleicher).

أما في ضاحية العمال المهرة فإن كثافة الاتصالات الاجتماعية قد تكون لها نفس المستوى، لكن طبيعتها تكون مختلفة: إنهم يتجاوزون المنطقة المحلية، ونظرا لكونهم معززون بالإعلام الوطني وقادرين على الترحال من ضاحية إلى أخرى، فإنك تجدهم أكثر التزاما وأداء وتركيزا على المظاهر المعينة في الحياة السكانية.

كما أن ارتفاع مستوى المعيشة واتساع الآفاق الاجتماعية، وكذا التغيرات الممكنة في الجماعات المرجعية وما ينطوي هذا عليه يمكن أن يبقى أو يزحزح قاعدة "المجموعة" لحياة الطبقة العاملة. ومن المؤكد أن تهديم بعض المناطق السكنية القديمة في إطار التجديد الحضري قد زعزع سلسلة العلاقات الاجتماعية التي تشكلت عبر الجمعيات ضمن المنطقة الجغرافية الواحدة، وكما أكل الاستقرار المطلوب لاستمرار الروابط الكثيفة للاتصال الاجتماعي. ومن الاعتقاد بمكان أن يؤدي التجديد العمراني وإعادة الإسكان إلى القضاء واقتلاع كل الأشكال التقليدية للمجموعات الحضرية، وقد كان هذا الاعتقاد محور كتابات الخمسينات والستينات، لكن هناك من يعتقد (ويلموط Willmott) بأن العكس هو الصحيح وأن الأنماط الاجتماعية تعود مع مرور الوقت إلى سابق عهدها رغم تحورها.

ويبقى أنه حيث تواجدت تلك النظم الاجتماعية القائمة محليا كمناطق اجتماعية جغرافية متجانسة اجتماعيا بجانب المجموعات القائمة على التفاعلات الاجتماعية،فإنهما تتداخلان، لكن على المرء أن يقبل بأهمية وجود نظام مراتب للمجموعات الاجتماعية على مختلف المستويات. وقد بينت عدة دراسات بأن الناس يعترفون بالانتماء للمستويات المختلفة في منطقة معينة سواء تعلق الأمر بمساكن متجاورة أو شارع أو مجموعة شوارع متاخمة، أو مدينة بأكملها.

وقد لا يمكن للمرء أن يفكر حقيقة في نظام حضري اجتماعي قائم محليا إلا على مستوى منطقة ضيقة جدا، وحتى على هذا المستوى فإن الاتصالات الاجتماعية ربما تعتمد كثيرا على السن لدى أرباب البيوت المعنيين لأن التبعية للمناطق المحلية تتغير بشكل ملفت مع تقدم السن، والأمهات في العائلات الحديثة والأطفال الصغار تجدهم مرتبطين أكثر ومعتمدين على مناطقهم المحلية أكثر من الأطفال الأكبر سنا، وأما المسنين فيلزمون مناطقهم.

ومثل هاته المقاييس المجالية المتغيرة والمستويات المختلفة للحراك الفيزيقي، تجعل من الصعب رسم حدود مجالية دقيقة،وذلك حتى بالنسبة للمجموعة القائمة محليا، مادام المرء لايزال يتعامل مع مفهوم نسبي.

2- النظم الاجتماعية المشتركة مصلحيا: إن المجموعة ذات المصلحة المشتركة تتكون من أناس تربطهم علاقات محددة. فالمصالح المشتركة يمكن أن تتشكل بطرق متعددة مثل: تربية الأولاد، السياسة، الرياضة، الدين، وكثيرا من المصالح المختلطة، وهي وإن كانت محددة، فإن التعبير عنها عادة ما يتم عبر الجمعيات الرسمية ، ثم أن دراسة مثل هذه الروابط يتطلب بداهة أكثر من مجرد جدولة للصفات الاجتماعية للقاطنين في

منطقة ما، بل إن ذلك يقتضى تحليل الروابط الاجتماعية، أنماط الاتصال وأسلوب حياة الأفراد في شكل دراسات سوسيومترية، وهذا ما تم فعلا على مستوى محدود على يد (وايط Whyet) حيث درس عصابة الشوارع أو على مستوى أوسع على يد (سطاسي Stacey) حيث شمل في دراسته لمجموعة أفراد عدة مجالات سياسية ودينية وترفيهية، وعملية، تبين الانقسامات بين السكان القدماء والجدد في المدينة.

إن النموذج المألوف القائم على المصلحة المشتركة هو ذلك الذي تفرزه بعض أشكال المعاملات الخارجية والتي تسمح ببروز مجموعة اجتماعية تشكلها مصلحة دفاعية مشتركة، وتكون في نفس الوقت مركزة أحيانا في موقع مميز، ومثل هذه المجموعات يمكن النظر إليها على أساس أنها قائمة على التصارع غير أنها، إما أنها لا تعمر طويلا مثل حالة الجماعات التي تتشكل لمعارضة التهديد بتهديم وإعادة بناء المناطق الحضرية (دينيس Dennis) أو تلك التي تعمر طويلا مثل تلك المجموعات التي تتصارع على أساس الاختلاف الديني أو العرقي (بول Boal).

وقد بينت نتائج الدراسات لكل من بنية المجموعة الحضرية، والحياة الاجتماعية في المدينة:

أولا: أن العائلة المحدودة والأعمال ذات الطابع المنزلي قد ارتفعت بشكل محسوس مع مرور الوقت.

ثانيا : أن معوقات البعد المكاني ضعفت مما جعل المناطق المحلية تفقد أهميتها شيئا فشيئا، وفي عصر التلفاز برزت ظاهرة تملك السكن وإنجاز الشغل بنفسك، فكان العمال اليدويين وغير اليدويين يركزون نشاطاتهم الاجتماعية في المنزل أكثر فأكثر ويزداد هذا حدة مع تنامي الميل لدي الأزواج والزوجات إلى تقاسم الحياة المركزة في المنزل، لتشكيل ما أسماه (يونج وويلموط Young & Willmott) بـ "العائلة المتناسقة" .

إن الفرق بين أرباب البيوت اليدويين وغير اليدويين ليس في التمايز التقليدي بين الجماعي والفرداني، ولكن الفرق هو بين مدى التحاقهم بالجمعيات الرسمية خارج المنزل والتي لازال أرباب البيوت غير اليدويين يشكلون القسم الأكبر فيها. إن انخفاض معوقات البعد المكاني قد أدى كذلك إلى ضعف تميز المجموعات، لكن بالرغم من ذلك فإن الروابط المحلية في المنطقة الحضرية لازالت تقاوم، وأن أهل الضواحي من القرى المحيطة لازالوا يشكلون الجمعيات على المستوى المحلي، في نفس الوقت الذي يرتبطون فيه مع الشبكات الاجتماعية وجماعات المصالح التي يوجد فيها أعضاء من مناطق أخرى بعيدة.

فعلى المستوى المحلي يمكن أن يكون "الضاحوي" عضوا في المجلس المحلي ويحضر اجتماعات جمعية أولياء التلاميذ المحلية، أو يشكل جماعة للدفاع على أشجار القرية. كما يمكن في نفس الوقت أن يكون عاملا في مكتب بمركز مدينة كبيرة بعيدة وزوجته قد تكون معلمة في مدرسة المدينة نفسها، كما تتردد على مدرسة التعليم حرفة الخزف في قرية أخرى، وأن يزورا أصدقاء العمل الذين يسكنون في مختلف القرى،وقضاء العطلة الأسبوعية في زيارة بعض الأصدقاء القدماء الذين يعيشون في أماكن أخرى من بريطانيا، والهتف للوالدين الذين يعيشون على بعد 100 ميل أو

زيارتهم أوقات الأعياد وترك أطفالهما معهم عندما يأخذان عطلة ثانية في عيد الفصح. ويبقى أن الروابط البعيدة تكملها شبكة من الروابط الأخرى على المستوى المحلي.

انقسامات المجتمع:

من سخريات إفرازات المجتمع الحضري اليوم، وفي خضم اتساع بحبوحة العيش والاختلاف بين فئات أرباب بيوت المهنيين أن يعمل الاقتصاد البريطاني المزدوج على توسيع الهوة بين أرباب البيوت وباقي السكان. ويعد الاستقطاب عاملا جغرافيا قويا، إذ مع تمييز الفقراء والأكثر فقرا على أساس شروط الإسكان بربطهم بسوق سكنات الكراء، وعلى أساس الشروط الفيزيقية بربطهم بمراكز المدن الكبرى، فإن هوة الفقر تعد إحدى الآليات البنيوية للمحافظة على مثل ذلك الاستقطاب وتدعيمه. فالتغيرات في توزيع فرص التشغيل وعمليات سوق الإسكان تميل إلى دفع التشغيل وفرص الإسكان جانبا، وهي بذلك تساعد على تركيز أرباب البيوت المُفَقّرين داخل مراكز المدينة، حيث أن المناطق المركزية في المدن الكبرى قد تتطور لتصبح بالوعة يدفع فيها الحرمان والفقر أرباب البيوت. ويعد هذا الأمر بديهيا حسب الدراسات الجغرافية للقلق الاجتماعي التي أظهرت المتناقضات بين المناطق الداخلية والخارجية للمدن. فالمناطق ذات القلق الاجتماعي والاقتصادي متماكنة، وأن أعراضه متواجدة غالبا في المناطق المركزية للمدن: من سوء التمدرس، وقصور الرعاية الصحية، والعجز عن دفع الكراء، وتفشي الجريمة،تضاف إليها الانكسارات الاجتماعية: من طلاق و يتم وتشرد وغير ذلك. وفي ميدان التربية فإن حالات الإنجاز الضعيف التي تبين أنها مركزة جغرافيا، تحتاج إلى نظرة مقارنة مع أوضاع الحرمان (دوغلاس Douglas).

وقد أكدت عدة دراسات هذه الاستنتاجات، لكن يبقى أن كل هذه الدراسات عن انتشار القلق والحرمان الاجتماعيين تعاني من عجزها في إقامة علاقة سببية بينه وبين المميزات الاجتماعية والبيئية في غياب حالات دراسة لأفراد أو لأرباب بيوت منفردين، فالدراسات الايكولوجية لا تظهر سوى العلاقات الممكنة بين المتغيرات، وأن مثل تلك الجمعيات لا يمكن أن تظهر الروابط السببية و لا أن تستدعي الأفراد الذين يسكنون المناطق المدروسة مباشرة. وتبقى النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسات قاصرة عن التعبير عن الواقع الحضري بأبعاده الأساسية، وأوجهه المتعددة وأحواله المتنوعة المتفرعة.

وختاما فإن تمركز الحرمان والقلق الاجتماعي في مناطق حضرية دون سواها يتأثر بالأوضاع القائمة، حيث تبقى الفروق شاسعة بين المناطق المركزية والمحيطية للمدن، وكما يظهر فإن هذه الفروق لا تتقارب في المدن الكبيرة. فالاقتصاد الحضري الذي ينتج البراد والتلفاز الملون وقرى الضواحي ، ينتج كذلك ويعتمد على الترسبات المتخلفة للسكان المحرومين في المناطق الداخلية للمدن. وقد بدأ علماء الجغرافيا الحضرية يعطون اهتماما أكبر للمظاهر السوسيولوجية للمدن، ويدرسون العيوب الاجتماعية والتميز الاجتماعي وتوزيع الثروة، وكذا التسهيلات المتوفرة، والاقتصاديات الخارجية. ومثل هاته الدراسات لا يمكن أن تعمل على التحسين المباشر للأقطاب في مجتمع المدينة، لكن يمكنها أن تظهر الوجه الآخر للعملة الحضرية. فلكي

نتعرف ونقدم المساهمات الممكنة لتحقيق عدالة اجتماعية أكبر، فإننا نحتاج إلى أن نوجه اهتمامنا بعيدا عن الأنماط الجغرافية الإحصائية للمجتمع الحضري، وأن ننظر عوض ذلك إلى العمليات والآليات التي تديم الانقسامات داخل المدن.

المصادر:

1- Abu- Lughod, J. (1969) "Testing the theory of Social Area Analysis: the ecology if Cairo" American Sociological Review 34, 198-212.

2- Berry, B.J.L. (1965) "Internal Structure of the City", Law and Contemporary problems, 30, 111-119.

3- Berry, B.J.L. (1973) "The human Consequences in urbanization, Macmillan Publisher, 1973.

4- Boal, F.W. (1969) "Territoriality on the Shank hill Falls divide, Belfast " Irish Geographer 6, 30-60.

5- Clowson ,M. and Hall,P.(1973).Planning and urban growth: an Anglo-American comparison.

6- Dennis,N. (1968).the popularity of the neighborhood community idea. social revue.6.191-206

7- Dennis,N (1972).People and planning-Public participation and planners blight-Faber.

8- Douglas, J.W.B.(1974).The home and the school-Mac Gibbon and Kee-
.

9- Durran,R(1939).A survey of social life on a new housing estay.P.S.King.

10- Festinger, L.,Schachter ,S(1950).Social pressures in informal groups a study of human factors in housing-Harper-

11- Fried,M. and Gleicher,P (1961).Some sources of residential satisfaction in an urban slum,J.Am.Inst.Planners,27.305-15

12- Fuerst, J.S. (1974).Public housing in Europe and America. Croon Helm.

13- Hillery,G.A.Jr. (1955). Definition of community: area of agreement, Rural social, 20,111-13.

14- Kuper,L (1953).Living in towns-Cresset press-.

15- Landay,S (1971).The ecology of Islamic cities :the case for the ethnocity;Eco.Geogr.,47 –Suplement-303-13.

16- Morris,R.N. and Mogey,J.M (1965).The sociology of housing-Rand

17- Musil. J. (1968).The development of Prague's ecological structure (ed) leadings in urban sociology-Pergamon-232-59

18- Ramsey, N.R (1966).Assertive mating and the structure of cities '.Am. Social Rev,31,773-86.

19- Stacy,M. (1960).Tradition and change .Oxford U.P

20- Whyte, W.F.(1943).Street corner society U. Chicago

21- Willmott,F .(1963).The evolution of a community's and K.P.

22- Willmott and Young, .(1960.Family and class in a London suburb. R and K.P).

23- Willmott M .and Young.M (1973). The symmetrical family .R and K.P.